تاريخ الاستلام:2023/10/12 تاريخ القبول:2023/12/27 تاريخ النشر: 2023/12/15م

مجلة علمية محكمة نصف سنوية –تصدر عن جامعة الزاوية
المجلد الثالث والعشرون – العدد الاربعون –ديسمبر –سنة 2023

أثر علم مصطلح الحديث في التأريخ

إيمان فتحي الفقي
قسم الدراسات الإسلامية– جامعة الزاوية
الزاوية – ليبيا
EMAIL: eman.fathi.ly1@gmail.com

ملخَّص البحث:

قواعد علم الحديث قواعد نقد شاملة، تدرس جوانب الحديث كلها دراسة دقيقة؛ تهدف إلى صيانة السنة النبوية والحفاظ عليها، والتي تعتبر أهم المصادر الإسلامية بعد كتاب الله تعالى، وقد وضع علماء المسلمين له قواعد وأصول سبقت علماء المنهج التاريخي بعدة قرون، وهو ما كان ولا يزال فخرًا لكل مسلم.

فالمتتبع للقواعد في علم الحديث وعلم التاريخ يجد أنها تتفق في جوهرها، وفي أنظمتها، وقواعدها، وهذا يدلنا على أن علماء التاريخ قد أفادوا فعلًا من علماء المسلمين في نقد تاريخهم.

فالعلاقة بين العلمين علاقة وثيقة، إذ يعتمد العلمين على الروايات الشفهية وعلى السند والمتن، فقد تعامل المسلمون مع التاريخ على أنه فرع من فروع التاريخ، فضبطوا الروايات التاريخية بنفس ضوابط الأحاديث النبوية، واشترطوا لقبولها شروط قبول الأحاديث النبوية، فاستفاد منهم علماء التاريخ حتى غير المسلمين، وساروا على نفس قواعد المؤرخين المسلمين، وبذلك يكون الفضل لعلماء المسلمين في وصول علم التاريخ إلى ما وصل إليه اليوم.

الكلمات المفتاحية / أثر، مصطلح الحديث، التأريخ.

The Impact of Hadith Terminology on History

Iman Fathi Al-Faqi

Department of Islamic Studies - Zawia University
Al-Zawiya - Libya
EMAIL: eman.fathi.ly12@gmail.com

ABSTRACT

The rules of hadith science are comprehensive rules of criticism that carefully study all aspects of hadith. It aims to preserve and preserve the Sunnah of the Prophet, which is considered the most important Islamic source after the Book of God Almighty. Muslim scholars have established rules and principles for it that preceded the scholars of the historical method by several centuries, which was and still is the pride of every Muslim.

Anyone who follows the rules in the science of hadith and the science of history will find that they agree in their essence, in their systems, and in their rules, and this indicates to us that historical scholars have actually benefited from Muslim scholars in criticizing their history.

The relationship between the two sciences is a close relationship, as the two sciences depend on oral narrations and on the chain of transmission and the text. Muslims dealt with history as a branch of history, so they controlled historical narrations with the same controls as the prophetic hadiths, and stipulated for their acceptance the conditions for accepting the prophetic hadiths, so historical scholars, even non-Muslims, benefited from them. They followed the same rules as Muslim historians, and thus credit goes to Muslim scholars for bringing the science of history to what it has reached today.

Keywords: impact, hadith term, history

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، من أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى هديه سار الصحابة من بعده والتابعين، حتى وصل لنا الدين صحيحًا كاملًا لا نقص فيه أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد وعد بحفظ القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية فقال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[1].

وإن أهم أسباب حفظ كتاب الله تعالى حفظ السنة النبوية، فقد سخر الله لها علماء جهابذة، نقلوها إلينا بضوابط وشروط وصفات معينة، بحيث يصعب أو يستحيل على أي أحد الكذب أو الوضع فيه.

وقد استفاد علماء التاريخ المسلمون وغير المسلمين من هذه الضوابط في نقل الأخبار، والحوادث، والقصص، على مر العصور؛ بمقارنتها بضوابط نقل الحديث وقبولها عند علماء الحديث، وقد أشاد بهذه الضوابط غير واحد من المؤرخين والمستشرقين فقال مرغليوث[2]: (والمسلمون على حق في فخرهم بعلم الحديث). ولهذا رأيت أن أكتب في هذا الموضوع بحثًا هو بعنوان: (أثر علم مصطلح الحديث في التاريخ) .

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية البحث في مدى استفادة علم التاريخ بمصطلح الحديث وهل لعلم مصطلح الحديث علاقة بعلم التاريخ؟

وما العلوم الأخرى التي ظهرت على يد علماء المصطلح واستفاد منها المؤرخون؟.

التساؤلات:

1- هل هناك ارتباط بين علم التاريخ وعلم مصطلح الحديث؟ .
2- هل استفاد المؤرخون من ضوابط علم مصطلح الحديث في نقل الأخبار؟.
3- ما مدى فضل نقاد الحديث على نقاد التاريخ؟.

هيكلية البحث:

قسمت البحث إلى:

تمهيد: مفهوما مصطلح الحديث ونقد التاريخ.
المبحث الأول: أهمية علم الحديث.
المبحث الثاني: تأثر علماء التاريخ بضوابط علم الحديث.
المبحث الثالث: نقد الحديث.
المبحث الرابع: نقد التاريخ.
الخاتمة.

تمهيد:

النقد لغة: خلاف النسيئة، وتمييز الدراهم وغيرها، وانتقد الدراهم قبضها [3].

مفهوم نقد الحديث: يمكن تعريفه بأنه تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، والحكم على الرواة توثيقًا وتجريحًا.[4]

مفهوم النقد التاريخي:

هو ممارسة علمية منهجية ينتقل المؤرخ بموجبه من مرحلة القراءة والاقتباس إلى مرحلة الفحص والتدقيق والتمحيص؛ بغية الوصول إلى الحقيقة التاريخية بحياد تام، وعبر سلسلة من الأدوات المترابطة التي تصنع تاريخاً من مادته وحقائقه[5].

فالتحقيق التاريخي هو وسيلة من أجل دراسة، وفهم المصدر، وإبراز أحداث ووقائع، والغاية هي استخلاص الحقائق التاريخية الصحيحة و ردّ الباطلة، وبالتالي إما تأكيد أو نفي الحادثة [6] .

المبحث الأول: أهمية علم الحديث:

لعلم الحديث أهمية بالغة عند المسلمين فهو الحافظ للسنة النبوية المصدر الثاني للتشريع (فقد كان لعلماء الحديث اليد الطولى في إرساء قواعد هذا الفن في تراثنا العربي، وتأثر بمنهجهم هذا أصحاب العلوم المختلفة) [7].

ولأهداف نبيلة وغايات رصينة وضعت قواعد هذا العلم منها :

1- قد تم به حفظ الدين من التحريف والتبديل، فقد نقلت الأمة الحديث النبوي بالأسانيد، وميزت به الصحيح عن السقيم .

2- سلك العلماء مسالك دقيقة و وفق معايير منضبطة، لإثبات صحة الحديث، وتنقيته من الدخيل.

3- أن قواعد هذا العلم تجنب العالم خطر الوعيد العظيم الذي يقع على من يتساهل في رواية الحديث،يقول البخاري حدثنا علي بن الجعد قال: أخبرني منصور قال: سمعت ربعي بن حراش يقول: سمعت عليًّا يقول: قال النبي ﷺ: لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار)[8] .

وقال أنس: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثًا كثيرًا أن النبي ﷺ قال: (من تعمد علي كذبًا فليتبوّأ مقعده من النار)[9].

4- إن هذا العلم يفتح الطريق أمام الباحثين لتحقيق معاني المتون، ثم الاطمئنان إلى الاستشهاد بها في كافة العلوم المختلفة، إذ إن الاطمئنان إلى صحة النص يجعل الطريق ميسرة في أكثر الأحوال للاستشهاد به. [10]

فلولا هذه القواعد والتقسيمات لأنواع الحديث المختلفة لضاعت السنة وتشتتت، ودخل فيها ما ليس منها، وبذلك يضيع الدين ويدخله التحريف كما حدث لليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان .

كما أن الاهتمام بعلم الحديث ساهم في ظهور علوم جديدة للتاريخ لم تكن موجودة من قبل كالسِّير، والمغازي، والأسانيد، والرجال، والطبقات، يقول صاحب كتاب فكرة التاريخ: (كان للاهتمام بالأحاديث النبوية أثره في ظهور نمط آخر من أنماط كتابة التاريخ هو السيرة والمغازي التي كانت استجابة ثقافية لحاجة المسلمين إلى الوقوف على تفاصيل حياة النبي ﷺ وأفعاله)[11].

ويقول أيضا: (أن نشأة هذا النمط من المعارف التاريخية كانت دينية قحة على أساس أنها تمركزت في المدينة من ناحية وارتبطت بدراسة الحديث من ناحية أخرى)[12].

وكذلك ظهر علم الأسانيد وهو السلسلة من الرجال الموصلة إلى متن الحديث فقد (لجأ المؤرخون إلى تدوين ما استوعبته الذاكرة بالنقل من فلان عن فلان من الحفاظ الموثوق بهم، وهو ما عرف بالأسانيد جمع سند بمعنى رفع القول إلى قائله، فكان الحفاظ هم الوسطاء بين الخبر والمؤرخ، وهي طريقة للإجماع على صحة الخبر)[13].

يقول مرغليوث: (بالرغم من أن نظرية الإسناد سببت متاعب لا نهاية لها أحيانًا بسبب الأبحاث التي ينبغي القيام بها لتوثيق كل راوٍ، وإلفهم وضع الحديث وتقليدها أحيانًا في سهولة، لا يمكن الشك في قيمتها في ضمان الصحة، والمسلمون على حق في فخرهم بعلم الحديث)[14].

كذلك ظهر علم طبقات الرواة والذي أظهره المسلمون للاستفادة منه في علم الحديث، وتتابع ظهور علم الطبقات حتى لغير المحدثين فقد ظهرت طبقات للنحاة واللغويين والشعراء، تأثرًا بطبقات المحدثين.

يقول فرانز روزنتال: (وتقسيم الطبقات إسلامي أصيل وقد يبدو أنه أقدم تقسيم زمني وجد في التفكير التاريخي الإسلامي... لأن تقسيم الطبقات هو نتيجة طبيعية لفكرة صحابة الرسول ﷺ والتي تطورت في أوائل القرن الثاني الهجري بالارتباط مع نقد علم الحديث للإسناد)[15].

ويقول مرغليوث عن علم الطبقات: (ولعل نظام الطبقات هو أنفع المناهج للباحث التاريخي؛ إذ يوجد فيه الاستمرار الذي هو جوهر التاريخ، وتفوقه على النظام الجغرافي واضح ؛ لأن الدراسات الإسلامية مشتركة إلى درجة عظيمة)[16].

فقد كان للاهتمام بأقوال النبيﷺ وأفعاله وتقريراته دورًا في ظهور عدة أنماط لم تكن موجودة من قبل، وقد أدى ذلك إلى تقصي صحة الأسانيد، وتتبع سير المحدثين، والحفاظ، والرواة وفقًا لمنهج الجرح والتعديل، وبذلك ظهر علم الطبقات والذي تطور بعد ذلك ليتجاوز طبقات المحدثين، وينتقل إلى طبقات النحاة، واللغويين والشعراء [17].

وكذلك ظهرت المعاجم، كمعجم البلدان وكتب الأنساب للحاجة إليها في علم الحديث، ثم انتقلت لعلماء التاريخ وكان لها الأثر في تطور علم التاريخ، يقول مرغليوث: (وقد تفرع من هذه الدراسات _يقصد علم الاسناد_ دراسات أخرى كثيرة، فلا بد أن يلاحظ قارئ معجم البلدان لياقوت أن المهمة الحقيقية لجامعه تمكين المحدث من تتبع كل زَاوِية للأحاديث إلى موطنه، وكتاب السمعاني العظيم في الأنساب بمعنى النسبة هو مساعدة لتتبع المحدثين)[18].

المبحث الثاني: تأثر علماء التاريخ بضوابط علم الحديث:

العرب في جاهليتهم لم يكن لهم تدوين للتاريخ بالصورة المعروفة اليوم، فقد كان تاريخهم موجودًا في أشعارهم وقصصهم، وبعض الخطب المشهورة وكان اعتمادهم في حفظ ذلك على الذاكرة فقط، فقد كان النص يلقى شفهيًّا، وتتناقله الألسن، وكانت الكتابة في ذلك العصر قليلة؛ نظراً لانتشار الأمية بين العرب في وقتها، ولم تكن لهم قواعد ولا ضوابط لنقل الأخبار التاريخية فيما بينهم، أو لمن بعدهم، ولم يكن لهم نقد للأخبار التي كانت تصلهم .

(فتوجيه النقد إلى أيام العرب كنمط من المعرفة التاريخية الباكرة بمقياس منهجي وعلمي حديث يلحق بهذا التراث التاريخي ظلمًا فادحًا، حقيقة أن أيام العرب كانت تفتقر إلى معظم مقومات العلم التاريخي بمفهومنا المعاصر، بيد أنها كانت نتاجًا حقيقيًا وإفرازًا طبيعيًا لبيئة العرب قبل الإسلام، كما جاءت أداة تخدم أغراضها الثقافية والاجتماعية البسيطة، والتي كانت تتوافق مع التنظيم القبلي وتنسجم مع النظرة الجزئية لكل قبيلة، جعل من القبيلة مركزًا للأحداث التاريخية من ناحية، وجعل من القبائل الأخرى عوالم خارجية من ناحية ثانية)[19].

ولكن بعد أن جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم بالقصص القرآني وأخبار من قبلنا، نشطت فكرة التاريخ، وجعلت الناس يبحثون عن أخبار الماضي .

يقول فرانز روزنتال: (إن أفكار الرسولﷺ التاريخية نشّطت دراسة التاريخ نشاطًا لا مزيد عليه، فقد أصبحت أعمال الأفراد، وأحداث الماضي، وحوادث كافة شعوب الأرض أمورًا ذات أهمية دينية، كما أن شخصية الرسولﷺ كانت خطًّا فاصلًا واضحًا في كل مجرى التاريخ)[20].

ويقول أيضًا: (ومن الدوافع العملية لدراسة التاريخ توافر المادة التاريخية والقصص التاريخي في القرآن، مما دفع مفسري القرآن إلى البحث عن معلومات تاريخية لتفسير ما جاء فيه)[21].

وبالرغم من أن القرآن الكريم استخدم المادة القصصية لأخذ العظة والعبرة ممن سبق واعتبرها وسيلة تربوية تعليمية، وكذلك لتسلية قلب النبي ﷺ وتثبيت فؤاده، برواية قصص من سبقوه من الأنبياء والمرسلين فقال تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين

من قبلهم﴾[22] ؛إلا أن ذلك قد أثار فضول المسلمين وغير المسلمين لتتبع التاريخ والوقوف عند بعض الآثار التاريخية، وبذلك نشطت فكرة نقد التاريخ .

المبحث الثالث: نقد الحديث:

بدأ نقد الحديث منذ زمن النبي ﷺ ، فقد وصلت إلينا العديد من النماذج في استشكال بعض الأحاديث عند الصحابة، وسؤالهم النبي عنها، من توهم لمعارضتها لنص آخر، أو لنص قرآني، وكان النبي ﷺيوضح لهم ذلك .

(فلم يرث المسلمون مناهج محددة تحكم الرواية، أو قواعد وأصولًا تضبط الخبر التاريخي والأدبي، رغم أن العرب في الجاهلية عرفوا الرواية في نطاق الشعر، والأنساب، وأيام العرب، واشترطوا في الرواة قوة الذاكرة وجودة الضبط، ومن هنا كان بزوغ المنهج النقدي يقترن بالإسلام وظهوره دون أن يختلط بمناهج محددة قديمة)[23].

ولكن لم يبدأ النقد الحقيقي كعلم يختص بتمحيص الروايات إلا مع بداية تدوين الحديث فمع (بداية تدوين الحديث كان الفساد قد تطرق إلى كل من سنده ومتنه، وكان لا بد من حركة مضادة لمقاومة ذلك ورده، ليحصل العلماء في النهاية على أحاديث مصفاة صحيحة النسبة لرسول اللهﷺ وقد صدرت منه حقًّا، فجاءت فكرة الضوابط السلوكية لرواية الحديث في هذا الوقت المبكر، فتشددوا في الإسناد والتزموه، كما تتبعوا رواة الحديث بالتجريح والتعديل)[24].

وبذلك كان المسلمون أول من وضع الأسس والضوابط للسند والمتن، يقول أسد رستم: (أول من نظم نقد الروايات التاريخية ووضع لذلك علماء الدين الإسلامي، فإنهم اضطروا اضطرارًا إلى الاعتناء بأقوال النبي ﷺ وأفعاله، لفهم القرآن، .... فانبروا لجمع الأحاديث، ودرسها، وتدقيقها، فأتحفوا علم التاريخ بقواعد لا تزال في أسسها وجوهرها محترمة في الأوساط العلمية)[25].

فقد اهتم علماء الحديث باتجاهات الراوي وحياته، ونزعاته، وميوله العقدية والسياسية، ودرجة علمه وذكائه، وكذلك مدى اتصاله بالحوادث التي يروي أخبارها، والزمن الذي كتبت فيه، وراقبوا مروياته بحذر، وهو ما يعرف بعلم الحديث دراية، وهو العلم بالقواعد التي يعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد، ومن شروطه الضبط، والعدالة، واتصال السند (وزيادة على التنقيب والتفتيش في الروايات بدأت معالم هذا الفن بالظهور، وتقعيداته العامة

بالبروز، فبدأت قواعده وضوابطه تتجلى بالجانب التطبيقي للنقد السندي والمتني من قبل أئمة النقد، كالثوري، ومالك بن أنس، وشعبة، وابن المبارك، وابن مهدي، والشافعي وغيرهم كثير ممن برز واشتهر، وذاع صيته، فبذلوا في ذلك الغالي والنفيس وقطعوا لأجل ذلك الفيافي والقفار... وصار لكل واحد من هؤلاء الأئمة أصحاب وأتباع)[26].

إذًا فقد وضعت الجذور الأولى لعلم الحديث منذ العصور الأولى، وظهر العلماء المختصون بنقد وتحقيق المرويات، منهم الرامهرمزي في كتابه (المحدث الفاصل بين الراوي والواعي) المتوفي سنة 360هـ، والخطيب البغدادي في كتابه (الكفاية في علم الرواية)، والقاضي عياض في كتابه (الإلماع إلى معرفة أصول الرواية والسماع)، وابن الصلاح الشهرزوري في كتابه (علوم الحديث) المشهور بمقدمة ابن الصلاح، ثم الذهبي في كتابه (الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة)، وكتابه (تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال)، والعراقي في كتابه (التقييد والإيضاح)، وابن حجر العسقلاني في كتابه (الكفاية في علم الرواية) وبذلك وضعت المادة المنهجية لعلم الحديث وتأصيله وتقويمه [27].

فقد قسم العلماء علم الحديث إلى علمين رئيسيين:

أحدهما: علم الحديث رواية ويقوم على النقل المحرر الدقيق لكل ما أضيف للنبيﷺ من قول أو فعل أو تقريرأو صفة، ولكل ما أضيف من ذلك إلى الصحابة والتابعين.

والآخر: علم الحديث دراية وهو مجموعة من المباحث والمسائل يعرف بها حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد [28].

وتحت علم الحديث دراية ظهر علم الجرح والتعديل: وهو علم يبحث عن الرواة من حيث ما ورد في شأنهم مما يشينهم أو يزكيهم بألفاظ مخصوصة .

وظهر علم رجال الحديث: وهو علم يعرف به رواة الحديث من حيث إنهم رواة للحديث[29].

وظهر علم مختلف الحديث: وهو علم يبحث عن الأحاديث التي ظاهرها التناقض من حيث إمكان الجمع بينها إما بتقييد مطلقها، أو بتخصيص عامها، أو حملها على تعدد الحادثة أو غير ذلك.

وظهر علم علل الحديث: وهو علم يبحث عن الأسباب الخفية الغامضة من حيث إنها تقدح في صحة الحديث .

وكذلك علم غريب الحديث: ويبحث عن بيان ما خفي على كثير من الناس معرفته من حديث رسول الله ﷺ، وكذلك ناسخ الحديث ومنسوخه وغيرها من العلوم [30].

فأما علم مختلف الحديث، وعلله، وغريبه، وناسخه، ومنسوخه، فهو ما يسمى عند علماء النقد التاريخي **بالنقد الباطني الإيجابي**، فهو علم متعلق بتفسير النص وهو ما يسمى بعلم أصول الفقه، فقد أسهم فيه المحدثون إسهامًا مناسبًا في تفسير المتن، وتحديد معناه الإجمالي في كتب غريب الحديث، ومعناه العام ... ولكن الفقهاء والأصوليين هم الذين وضعوا المنظومة العقلية الكاملة للتعامل مع النص من حيث التفسير، تحليلًا وتركيبًا، فظهرت علوم المجمل والمفصل، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، ومختلف الحديث، وما قاموا به من تصحيح المتن وتفسيره إجمالًا وتفصيلًا والاستنباط اللغوي والفقهي منه، وهو ما يعرف في المنهج الغربي بتفسير النص[31].

كما أن العلماء وضعوا شروطًا للراوي قاسوا بها أحوال الرواة وهي: العقل والضبط، والعدالة، والإسلام .

فالعقل هو مقدرة الراوي على التمييز، أما الضبط فهو سماعه للرواية كما يجب، وفهمه لها فهمًا دقيقًا، وحفظه لها حفظًا كاملًا لا تردد فيه، وثباته على ذلك من السماع إلى وقت الأداء، أما العدالة فهي استقامته التامة في شؤون الدين، وسلامته من الفسق، وخوارم المروءة، وهو ما يسمى بنقد السند أو **النقد الخارجي** عند علماء التاريخ [32].

فنقد الحديث متنًا وسندًا لم يكن في يومٍ من الأيام لشهرةٍ أو كسب رزقٍ أو إشباع رغبة علمية ؛إنما كان صيانةً للسنة، وإبعادًا لكل من أراد النيل منها أو العبث بها، فقد كان مهمة دينية فرضها الإحساس بالمسؤولية، فنقد الحديث امتاز بالموضوعية التامة، وقد بدأ في وقتٍ مبكرٍ جدًا منذ بداية الرواية، و كان ميزانًا يعرضون عليه الروايات، ولنقد الحديث عدة سمات منها:

1- منهجه يقوم على مقاييس ومعايير وكليات دقيقة في الجملة يمكن تطبيقها على أجزاء واسعة من الأحاديث.

2- الأمانة العلمية والنزاهة في نقد الرواية، وهذا واضح جلي فيمن يدقق النظر في أقوال النقاد، فقد التزموا بأصول النقد بحيادية، فتجد المحدث ينتقد الرواية ويضعفها، مع أنها هي الرواية الوحيدة التي تؤيد قوله أو توافق مذهبه.

3- الدقة في إعطاء الحكم على متن الحديث؛ فتجد أن حكم الناقد موافق للواقع، فجل أحكام المحدثين على الرواية موافقة للحال.

4- أنه منهج استخدم فيه الناقد جميع وسائل النقد المتاحة له من التتبع والاستقراء، والموازنة بين المرويات، والرجوع إلى الأصول والمذاكرة والمدارسة.

5- إن للمحدثين صناعة نقدية عالية في مجال المتون وصيانتها وتقويمها وتوجيهها، فهي مكان رحب للباحث في دراسة المتون الحديثية والدفاع عنها[33].

خلاصة القول: أن لعلماء الحديث طريقة خاصة في نقدهم للحديث، فلنقد الحديث عندهم يجب النظر إلى ناحيتين:

1- البحث في الرواة وهو نقد السند.

2- البحث في سلامة النص وهو ما يسمى بنقد المتن.

فيبدأ الباحث أولاً بنقد السند، وهو السلسلة الموصلة للحديث الشريف، وعليه أن يتأكد من سلامة السند، وذلك بتتبع ناقلي الحديث فردًا فردًا، ودراسة حاله من حيث سلامة نقله، وصدق روايته.

ثم تبدأ المرحلة الثانية: وهي دراسة المتن، وسلامة المعاني، وعدم تعارضه مع القرآن، أو غيره من الأحاديث، ودراسة الغريب، والمشكل، والمبهمات... وغيرها.

المبحث الرابع: نقد التاريخ:

لم يتبع القدماء منهجًا سليما في دراسة التاريخ، فكانوا يخلطون بين حقائقه وبين الأساطير والقصص، والروايات الشعبية المتواترة التي لا يعرف لها مصدر، وكانوا يجمعون الوثائق والروايات كيفما اتفق، ثم يقومون بصياغتها في قالب أدبي جذاب.

وبعد ذلك جاء علماء المسلمين، فاعتنوا عناية كبرى بنقد الرواة، وخصوصًا رواة الحديث النبوي، واهتموا بتمحيص طرقهم في النقل، وطبقوا في ذلك منهج الإسناد.

وقد أخذ منهم علماء التاريخ الكثير من الضوابط والشروط للراوي والمروي.

يقول الكافيجي: (وينبغي أن يشترط في المؤرخ ما يشترط في راوي الحديث أربعة أمور: العقل والضبط والإسلام والعدالة؛ لكون كل واحد منهما - يقصد المؤرخ والمحدث- معتمدًا في أمر الدين وأمينًا فيه، ولتزداد الرغبة في تاريخه، وللاحتراز عن المجازفة والافتيات)[34].

يدلنا ذلك على أن الكافيجي قد استفاد من علم الحديث استفادة كبيرة، ووضع شروط للمؤرخ هي عينها شروط الراوي.

ويقول الدكتور عبد المجيد دياب عن شروط الرواية: (والواقع أنه ليس بإمكان أكابر رجال التاريخ في أوروبا وأمريكا أن يكتبوا أحسن من كتاب الإلماع للقاضي عياض، فإن ما جاء فيه من مظاهر الدقة في التفكير والاستنتاج تحت عنوان تحري الدقة والمجيء باللفظ يضاهي أدق ما ورد في الموضوع نفسه في أهم كتب الفرنجة ...)[35]

ثم يقول: (والقواعد التي وضعها الأئمة منذ قرون عديدة للتوصل إلى الحقيقة في الحديث تتفق في جوهرها واتجاهها والأنظمة التي اكتشفها علماء أوروبا فيما بعد في بناء علم المثولجيا[36])[37].

وكما أن للمسلمين في علم الحديث نقدٌ يختص بالسند ونقد يختص بالمتن فإن لعلماء التاريخ ما يقابل ذلك عندهم، وهو النقد الخارجي والنقد الداخلي

فالنقد الخارجي، ويسميه بعضهم التحليل الخارجي:

والهدف منه محاولة الكشف عن صحة أو زيف انتماء النص إلى صاحبه، كما يهتم بالتحقق من عمر الوثيقة، ونوع الخط و الورق،وكاتبها، وزمن كتابتها، ومكان صدورها.

وتتكون هذه المرحلة من عمليتين هما:

1- **نقد الوثائق:** وهي إثبات مدى صحتها، والحذر في استخدامها، والتفرقة بين الصحيح والمزيف منها، فإذا ثبت تزييف هذه الوثائق، فلا يمكن الاعتماد عليها، ولا الأخذ منها بحال من الأحوال .

وينبغي الأخذ بالاعتبار أن الإنسان يميل بطبعه إلى تصديق الأخبار دون تمحيص، إذ التصديق أقل مجهودًا من المناقشة[38] .

2- **التحقق من شخصية صاحب الوثيقة:** فلا بد من الوقوف على مصدر الوثيقة، ومكان وزمن كتابتها، وذلك لأنه لا فائدة من استخدام وثيقة نجهل صاحبها[39].

النقد الداخلي أو التحليل الداخلي:

في ضوء هذا النقد يُتعرف على صحة أو زيف المعلومات التاريخية الواردة في النص ودقة بياناتها، (فهو مجموعة العمليات التي يستخدمها الباحث في فهم محتويات الوثائق، وتقدير

الظروف التي أحاطت بكتابتها، فهي خاصة بالتحقق من صدق النص التاريخي من جهة الموضوع لا من جهة الشكل، وهي ضرورية للسبب الآتي: وهو أن الظواهر الماضية لا تقع تحت ملاحظتنا، ولا يمكن الثقة بما يذكره الرواة عنها دون تمحيص أو نقد، فإن أخبارهم تحتمل الكذب والخطأ)[40].

والتحليل الداخلي نوعان: إيجابي وسلبي:

فالإيجابي يستخدم التحليل للتفرقة بين العناصر الأولية التي يحتوي عليها النص التاريخي، أما **السلبي** فهو خاص بالظروف التي وجد فيها الكاتب عند كتابته للوثيقة، والأسباب الخارجية المؤثرة عليه، والتي قد تكون سببًا لكذبه أو وقوعه في الخطأ[41].

نلاحظ مما سبق أن النقد الخارجي هو ما يوافق نقد السند عند علماء الحديث

أما النقد الداخلي فهو ما يعرف عند علماء الحديث بنقد المتن.

أبرز سمات النقد التاريخي:

1- على المؤرخ أن يكون أمينًا شجاعًا مخلصاً، فلا يكذب ولا ينافق أصحاب الجاه والسلطان ولا يخفي الوقائع والحقائق[42].

2- العدالة والضبط، يقول أسد رستم: (وهناك نقد داخلي سلبي يكشف الستار عن مآرب المؤلف وأهوائه، ودرجة تدقيقه في الرواية، فيظهر لنا مقدار ما عنده من العدالة والضبط أو ما ينقصه منهما، والمؤرخ العربي في أشد الحاجة إلى مثل هذا النوع من النقد)[43].

3- من سمات المنهج التاريخي هو الوصول للحقيقة، وليس المقصود بها الحقيقة المطلقة، إذ إن هذا أمر غير مستطاع لعوامل مختلفة مثل ضياع الأدلة وانطماس الآثار [44].

4- محاولة إثبات صحة الوثائق ونسبتها إلى أصحابها، وعدم التحيز أو الميل والإعجاب لعصر خاص أو لناحية تاريخية معينة [45].

5- ربط الظاهرة التاريخية بالظواهر الأخرى الموالية لها والمتفاعلة معها للوصول إلى نتيجة معينة .

6- تقويم البيانات، وهو عدم التسليم بصدق ما بين يديه من الوثائق، بل لابد من فحصها، وتدقيقها، وتمحيصها للتأكد من دقتها، وصدق محتواها[46].

7- تحري النص: (فهدف المؤرخ المنقب أن يتحقق من هذه الصلة، ومن حرفية نص الشهادة التي فيها، ثم يروي هذه الشهادة كما صدرت عن صاحبها الأصلي)[47].

يقول أسد رستم عن ذلك: (هذه مأثرة أخرى من مآثر علماء الحديث، فإنهم قالوا بالأمانة في نقل الأحاديث، وفرضوا وجوب تحري النص، لأجل الوقوف على اللفظ الأصلي)[48].

و يقول أيضًا: (ومما يذكر مع مزيد الإعجاب والتقدير ما توصل إليه علماء الحديث منذ مئات السنين في هذا الباب... نورده بحروفه وحذافيره تنويها بتدقيقهم العلمي واعترافا بفضلهم على التاريخ)[49].

الخاتمة:

1- علم مصطلح الحديث يسبق علم التاريخ من حيث وضع الضوابط الأولية والتقعيد له كعلم .

2- الاهتمام بالسنة وحفظها نتج عنه ظهور العديد من العلوم المساعدة الأخرى التراجم، والسير، والمغازي، والطبقات، والأنساب.

3- امتاز المنهج النقدي لعلماء الحديث بالدقة، والموضوعية التامة، والعمق في البحث، ذلك لأن الغاية منه حفظ السنة النبوية، وتمييز صحيحها، نشأ ذلك من إحساسهم بالمسؤولية؛ فهو مهمة دينية محضة .

4- تقارب الشروط والسمات عند المؤرخ والمحدث يظهر لنا مدى تأثر علماء التاريخ بعلم مصطلح الحديث والأخذ بقواعده وشروطه .

5- لو طبقنا قواعد علم مصطلح الحديث على بعض الحقائق التاريخية، أو الكتب التاريخية القديمة، والتي سبقت الإسلام؛ لظهر لنا زيف الكثير من الكتب؛ والقصص؛ والحقائق، ذلك أن معظمها ليس له سند أو أن إسنادها لا يتوافق مع قواعد المنهج النقدي لعلماء الحديث .

هذا يدل على أن ما صح من الأحاديث النبوية عند علماء الحديث قد عرض على قواعد النقد كاملًا؛ حتى استحق اسم الحديث الصحيح أو الحسن أو الضعيف.

هوامش البحث:

(1) سورة الحجر الآية 9

(2) اسمه ديفيد مارغليوث، مستشرق انجليزي ولد سنة 1858 توفي سنة 1940 م أستاذ لغة عربية في جامعة أكسفورد

(3)القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، تحقيق: أنس الشامي، زكريا جابر، دار الحديث، القاهرة، 2008، صـ1640.

(4) منهج النقد عند المحدثين نشأته وتاريخه، محمد مصطفى الأعظمي، مكتبة الكوثر، السعودية، ط3، 1990م، ص 5.

(5) بحث (النقد التاريخي وأهميته في إبراز الحقيقة التاريخية) منصورية قدور، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 7، العدد 1،2021م، ص520 .

(6) المصدر السابق .

(7) تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1985م، ص3.

(8) صحيح البخاري، أبي عبد الله محمد البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط1، 2002م، كتاب العلم، باب: إثم من كذب على النبيﷺ، ص39، رقم 106.

(9) المصدر السابق، ص40، رقم 108.

(10) ينظر: بحث (علم الحديث وعلاقته بعلم التاريخ)، محمد علي الغامدي، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 24 لسنة 2016م، ص115.

(11) فكرة التاريخ عند المسلمين، قاسم عبده قاسم،عين للدراسات والبحوث، الهرم، مصر، ط1، 2000م ص90.

(12) المصدر السابق، ص91.

(13) معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص12.

(14) دراسات عن المؤرخين العرب، مرغليوث، ترجمة حسين نصار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر 2010م، ص29.

(15) علم التاريخ عند المسلمين، فرانز روزنتال، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط2،1983م ص123.

(16) دراسات عن المؤرخين العرب، مرغليوث، ص19.

(17) ينظر: فكرة التاريخ عند المسلمين، قاسم عبده قاسم، ص90.

(18) دراسات عن المؤرخين العرب، مرغليوث، ص29.

(19) فكرة التاريخ عند المسلمين، قاسم عبده قاسم، ص74.

(20) علم التاريخ عند المسلمين، فرانز روزنتال، ص40.
(21) المصدر السابق، ص41.
(22) سورة غافر، الآية 82
(23) منهج النقد عند المحدثين مقارنًا بالمنهج النقدي الغربي، أكرم ضياء العمري، دار إشبيليا، الرياض، ط1، 1997م، ص23.
(24) تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، عبد المجيد دياب،دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1993،2م ص31.
(25) مصطلح التاريخ، أسد رستم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص5.
(26) بحث (نقد المتن عند المحدثين دراسة نظرية تطبيقية) إبراهيم بن محمد السعوي، ص 11 .
(27) ينظر: تحقيق التراث العربي، عبد المجيد دياب، ص77، وينظر: منهج النقد عند المحدثين مقارنًا بالمنهج النقدي الغربي، أكرم العمري، ص 19، وينظر: منهج البحث وتحقيق النصوص، يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، تونس ط1، 1993م، ص19.
(28) ينظر:علم الحديث ومصطلحه، صبحي الصالح، دار العلم للملايين،بيروت، لبنان، ط2009،4م، ص107.
(29) ينظر: المصدر السابق ص 109 – 110.
(30) ينظر:المصدر السابق من ص 111– 130
(31) ينظر: منهج النقد عند المحدثين، أكرم العمري، ص53.
(32) ينظر: مصطلح الحديث، صبحي الصالح، من 126 – 130.
(33) ينظر: بحث (نقد المتن عند المحدثين دراسة نظرية تطبيقية) إبراهيم السعوي، ص33.
(34) المختصر في علم التاريخ، محيي الدين الكافيجي، تحقيق محمد كمال عز الدين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص70
(35) تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، عبد المجيد دياب،ص52.
(36) علم يختص بالأساطير والنشأة الكونية والتاريخية والقصص والخرافات.
(37) تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، عبد المجيد دياب، ص 53.
(38) ينظر: المنطق الحديث ومناهج البحث، محمود قاسم، مكتبة الانجلو، مصر، ط2، ص365.وينظر: منهج البحث التاريخي، حسن عثمان، دار المعارف، ط2000،8، ص82.
(39) المنطق الحديث ومناهج البحث، محمود قاسم، ص 367.
(40) المصدر السابق،ص368
(41) ينظر: المصدر السابق.ص 370
(42) منهج البحث التاريخي، حسن عثمان، دار المعارف ط8، 2000م، ص 18.
(43) مصطلح التاريخ، أسد رستم،ص71.
(44) منهج البحث التاريخي، حسن عثمان، ص21.

(45) المصدر السابق ص 22 – 70
(46) منهج النقد عند المحدثين مقارنا بالمنهج النقدي الغربي، أكرم العمري،ص39.
(47) مصطلح التاريخ، أسد رستم، ص 44.
(48) المصدر السابق، ص42.
(49) المصدر السابق، ص80.